الانسياح اليهودي في ارض كنعان وتمظهر الدولة اليهودية فيها حتى نهاية عصر القضاة (1220–1060ق.م) وفق منظور المؤرخ يوسيفوس

أ.د. طالب منعم حبيب الشمري الباحثة. فيحاء كاظم جالي الطرفي

كلية التربية/ جامعة واسط

Jewish flow in Canaan and the emergence of the Jewish State to the end of the Judges Era (1220-1060 B.C) of Josephus

Prof. Dr. Talib Mun'im Habeeb Al-Shimmery
Researcher. Fayhaa Kadhum Jali Al-Tarffi
College of Education\ University of Wasit
fahaakadim@gmail.com

Abstract:

Researchers who study the ancient history in general and critical studies on Jewish texts, in particular, are faced with various difficulties and pose queries that stimulate their insights.

1-Josephus was also in contradiction regarding the moral calls of Prophet Moses. On one hand, he said the Moses used to call for non-aggression and not fighting and avoidance of bloodshed. On the other hand, he showed the glorious Prophet calling for killing Amalekites without mercy.

2-The thesis also highlights the exaggerations of Josephus in his indication to the victories of the Jewish against their foes. He used high figures and digits for enemy deaths in his writings to make them more exciting and intriguing for readers. For example, he talked about high numbers of philistines who were killed by Saul the King (approximately 60,000).

Keywords: Josephus, Land of Canaan, Jews, Prophet Moses.

الملخص:

عكف المؤرخ يوسيفوس على دراسة المنحى التاريخي القديم لليهود وكيفية انسياحهم في ارض كنعان وتمظهر الدولة فيها بطريقة بدا عليها التأثر الواضح في النصوص التوراتية فامتزجت رواياته وتضاربت بين تاريخ مقبول واخر اسطوري، فانبرى على تقديم حزمة تاريخية جسدت ماهيو العلاقة بين اليهود والامم القديمة المتاخمة لأرض كنعان متحدثا" عن العماليق وما دار بينهم من حروب كانت البداية في التوغل باتجاه اورشليم التي تحرك النبي موسى باتجاهها بعد ان استحدث نظرية عسكرية في تحقيق الغاية كنشره للجواسيس للتعرف على واقع المنطقة طوبوغرافيا وعسكرياً.

لذا مثل البحث سردا تحليليا "لنصوص يوسيفوس الباحثة عن كيفية الاطباق على الرض كنعان وابعاد الكنعانيين من موطنهم الاصلي.

الكلمات المفتاحية: يوسيفوس، ارض كنعان، اليهود، النبي موسى.

المقدمة

جسدت الروايات التاريخية اليهودية منعطفاً مهماً في بلورة تاريخهم القديم مضيفةً على نفسها بعداً قدسياً متمظهراً في السياقات المرحلية الزمكانية لتاريخهم القديم مكونةً توجهاً كتابياً متكأ على مصدرهم المقدس التوراة الذي انساق ورائه مؤرخي اليهود الكلاسيك متشبثين بحيثياته وديباجاته النصية المؤصلة لمراحل حياتهم العامة داخلياً وخارجياً، وتماشياً مع هذا الدور ارتأينا دراسة بحثاً علمياً دارت فكرته حول (الانسياح اليهودي في ارض كنعان وتمظهر الدولة اليهودية فيها حتى عصر القضاة (1220–1060ق.م) وفق منظور يوسيفوس) عكسنا فيه تجليات الموروث الثقافي للمؤرخ يوسيفوس الذي عكف بكل طاقاته وامكاناته العلمية في ابراز الرحلة الشاقة التي قطعها اليهود القدماء للوصول الى هدفهم في الاطباق على ارض كنعان في عهد موسى (ع) ووضعها بين كفي كماشتهم مستبعدين عنها الكنعانيين لذا قسم البحث الى مبحثين خصص الاول منه لدراسة (الامتداد اليهودي في ارض كنعان في عهد النبي

موسى (ع)) بينا فيه كيفية قيادة موسى (ع) للجموع اليهودية وضربه للعماليق والميديانيين ليكون البداية في تبلور دولة اليهود فيها، لياتي المبحث الثاني متمما "لما بدأناه والذي جاء بعنوان (احوال اليهود السياسية بعد وفاة موسى (ع) في ارض كنعان الى عام (1060ق.م)جسد الجهود التي قام بها يوشع في اكمال ما ابتداه النبي موسى من جهود مضنية لتحقيق الهدف والغاية اليهودية في الامساك باورشليم

وبطبيعة الحال الذي رسمه يوسيفوس في انطباعاته للموضوع يدفعنا الى تقصي اخباره بحذر وتدقيق لما تضمنت كتاباته من سقطات وهنات اوصلته الى حد بعيد الى عدم الضبط لإيقاع حركة التاريخ القديم وذلك بالمطابقة النصية والتناصية مع المصادر الاخرى، لقبول ما هو واقعي ورفض ما هو موضوعي، واستنادا" الى ما تقدم تطلب الرجوع الى كتابات يوسيفوس اهمها كتابه الموسوم (Complete Works) المطبوع عام 1988م فضلا" عن مصدره المقدس التوراة لتجذير رواياته وتأصيلها، واخيرا ادعو من الله عز وجل ان اكون قد وصلت الى المبتغى واصبت الغاية وان زل قلمي في موضع فانه بالنهاية جهد انسان ضعيف لا يخلو من الاضطراب وان الكمال لله وحده.

المبحث الاول

الامتداد اليهودي في ارض كنعان في عهد النبي موسى (ع)

نحى يوسيفوس[1] منحى جديداً في تنظير أركيولوجيا الاستيطان اليهودي في بلاد كنعان وبداياته بأسلوب واعد، نائياً بالقارئ بعيداً عن الأسس الاثارية في تناول حركة الاستقرار البشري فيها، متبعاً النظرية الهشة المنصوص عليها في ديباجات النص التوراتي، المدعمة جغرافياً وتاريخياً لمرحلة الخروج من مصر، وبداية التوجه والاستقرار نحو أورشليم، بعد أن وجد فيها تناسقاً واضحاً بين متنيات نصه المقدس ومنهجه الفكري في أرخنة الأحداث بما يتلاءم مع توجهاته وميوله التي يؤشر عليها انحيازها التام لأهل جلدته، مؤسساً فكرة (شعب الله المختار)، فامتزجت رواياته وتضاربت بين تاريخ مقبول وآخر اسطوري، وماجت مؤلفاته تراكمياً متخذاً فيها تراتب زمني محبوك بطريقة تطلبت متابعتها تناصياً وتحليلياً؛ لفهم ما دار في ذهنه من أفكار وتوجهات قابلة للنقد والتفكيك سيميائياً وتركيبياً، فبعد ما حل باليهود من حالات تحجيمية، واضطهادات أثنية، أوصلت بالفراعنة نحو ملاحقتهم عسكرياً إلى حدود سوريا، مصوراً يوسيفوس ذلك المشهد دراماتيكياً محاطاً بالإعجاز الإلهي في تخليصهم وإنجائهم من سطوة القمع المصري ومن ثم اللجوء إلى جبل سيناء، ليقدم النبي الكريم موسى (عليه السلام) القرابين إلى الرب الذي أنعم عليه نعمة الأمن، وتشتيت قوة الأعداء، بعد أن ضربهم بالرياح الرعدية والأمطار[2]، ليصبح اسم اليهود حسب زعمه شعباً معروفاً في البلاد القريبة، مما آثار خشية بعض الأقوام المجاورة التي بادرت إلى إرسال وفودها إلى اليهود معلنين الولاء والطاعة[3].

ولعلنا نتساءل عن هوية هؤلاء الأقوام؟ وعن ماهية علاقتهم باليهود؟ فهل ساق يوسيفوس انبعاثات روائية مجسدة لمبدأ القوة المتضاربة والمتصارعة للوصول إلى الهدف الإسرائيلي في إعلان إقامتهم كمملكة في فلسطين؟

اتبع يوسيفوس أسلوباً سردياً متدرجاً في تناوله لمرحلة نشوء مملكة اسرائيل، وارتقائهم نحو تأسيس دولتهم، ووضع الكنعانيين حيز السيطرة، والأطباق عليهم بالقوة، وإجبارهم على الخضوع لسلطانهم، مشيراً في معرض رواياته إلى اصطدام عسكري وقع بين اليهود واقـــــوام أطلــق عيلها لفظ (الأمالكيتيين)(Amalektites) (العماليق)، واصفاً إياهم بالأمة المحاربة، لينبري النبي الكريم موسى (عليه السلام) في إعلانه حالة الاستنفار المطلقة، والاستعداد النفسي والعسكري لملاقاتهم ومناجزتهم، مخاطباً قومه، مذكراً اياهم بمساعدة الرب الذي خلصهم من نير فرعون، مستقطباً مشاعر مجتمعه بخطابه، ليندفعوا باتجاه تنصيبه قائداً روحياً، وموجهاً دينياً

(1) مؤرخ يهودي ولد وترعرع في (القدس)عام (37 -100)م من عائله عريقة تسمى الاحبار وتقلد مناصب كبيرة ومهمة، فاصبح حاكما "للقدس وله مكانة دينية وعلمية منذ صغره، للمزيد من المعلومات ينظر: يوسفوس، ، سيرة حياة يوسيفوس الذاتية، ترجمة وتقديم محمد حمدي ابراهيم، المكتبة المصرية للمطبوعات (القاهرة-2005)، ص 41

(2) Josephus, Complete, book 2, P.76.

(3) Josephus, Complete, book 3, P.81.

ودنيوياً لهم، مقسماً قواته المحاربة بقيادة (يوشع) (Joshua) من قبيلة أفرام، إذ كان الأخير يتسم بالشجاعة والورع في عبادة الرب، وكان متكلماً قوياً حسبما وصفه يوسيفوس[1].

ليشتبك الجيشان بمعركة حامية الوطيس التحموا فيها بالأيادي والسلاح، أظهر كلا الجيشين الحماس ورباطة الجأش وشدة المراس في القتال، ليبادر النبي موسى (عليه السلام) إلى دعوة ربه لنصرة قومه التي تحققت بدعائه؛ لتفرز المعركة جملة من النتائج أوردها يوسيفوس على النحو الآتي[2]:

1- إن اليهود قيموا أنفسهم من خلال الشجاعة المتناهية التي أبدوها في القتال.

2- غنم اليهود الكثير من الغنائم.

3- أوصلوا رسالة للأمم المجاورة على قوتهم التي أرعبتهم حال سماعها بأخبار المعركة.

هكذا ختم يوسيفوس روايته بعبارة قال فيها: "**انتهت أول معركة بعد خروج اليهود من مصر**"[3].

يُلحظ في رواية يوسيفوس اقترانها ببعض الأطراف المناوئة لفلسفة اليهود المتجهة نحو إقرار المركزية المطلقة لحكمهم، واندفاعها المتسارع باتجاه فرض الهيمنة السياسية والاجتماعية على بلاد كنعان، مما يؤشر على مجمل النص ميله الواضح نحو النظرة الدينية المتشبثة في عقلية يوسيفوس، وتشبعه المفرط بأفكاره الأيديولوجية اليهودية، صائغاً فهمه عن تركيبة الدولة الاسرائيلية السائرة نحو النشوء والارتقاء في ضوء نظرته العامة لعلاقة اليهود بالموجه والملهم النبي موسى (عليه السلام) الداعي إلى نظرية التأسيس هذه، بمنأى عن مدى أحقية اليهود في هذا الاحتراب، مؤسساً بفكره هذا مرتكزاً خلافياً وفجوات يصعب رأبها؛ كونه أصبح بين مد الدعوات الموسوية الداعية إلى عدم الاعتداء، واحلال السلام بين البشرية المنصوص عليها في النصوص التوراتية[4]، وبين جزر النص الروائي المصدر من قبل مؤهودرخ الداعي إلى فكرة الطغيان والاستبداد الذي مارسه اليهود في تحقيق هدفهم المنشود في الامتداد صوب أورشليم، مبلوراً بأسلوبه الدعامة الأساسية التي اتكأ عليها الفيلسوف الفرنسي فوكو (Facault) الذي ربط بين اصطلاحي (الراعي والرعية) المعالجة لمفهوم (الدولة الشرقية)، معلناً انطباقها التام على العبرانيين، فقد وجد في نصوصه المقدسة أن (يهوه= الله) يمارس الراعي وليس هناك راع دنيوي غيره، إلا عندما كلف (يهوه) داود (عليه السلام) بجمع القطيع (بني إسرائيل) فأصبح ملكاً واصبح يلقب بالراعي[5]، ولذا يمكن افتراض الثنائية المنغلقة التي تبناها يوسيفوس في تنظيره المقيد لوضع اللبنات الأولى المسرعة لانبثاق دولتهم، والقائمة على معادلتين (الراعي= الله= موسى (عليه السلام)) وتأثيره على العقلية الشرقية القديمة الذي مارس السلطة على (الرعية) = (بني إسرائيل)، ويتجلى ذلك واضحاً في حث أهل جلدته على قتال (الامالكيتيين) وهم (العماليق) الوارد ذكرهم في النصوص التوراتية[6].

فمن هم العماليق؟ وهل تربطهم وشائج من العلاقة مع الكنعانيين القاطنين في بلاد الشام؟ وفي أي مدة أو عصر اصطدم بهم بني إسرائيل؟ وهل توافق ذلك وانسجم مع ما رواه يوسيفوس؟

---

(1) Josephus, Complete, book 3, P.81;

راجع أيضاً:

Casey, Maurice, From Jewish prophet to Gentile God, copyright (1991), P.P.42-43; Subramanian, J, Samuel, The synoptic Gospels and the psalms As Prophecy, New York(2007), P.P.9-20; Mandel, David, who, s in the jewish Bible, London (2007), P.P.215-216.

(2) Josephus, Complete, book 3, P.82.

(3) Josephus, Complete, book 3, P.83.

(4) Seven, Volume, The Jewish Law Annual, Trustees of Boston University (1988), P.P.13-14.

(5) بولانتزاس، نيكولاس، نظرية الدولة، ترجمة ميشيل كيلو، التنوير، (بيروت- 2007م)، ص72.

(6) سفر التكوين، 10: 6؛ ينظر أيضاً:

Milman, Henry Hart, The history of the mews, New York(1855), P.P.75: B, Sinclair, Daniel, Jewish Biomedical Law, Oxford (2003), P.P.207-208; Brugger, winfried, Religion in the puplic sphere: A Comparative Analysis of German, Israeli, American and International Law, New York(2007), P.P.415-416.

إن أصل كلمة عماليق مجهول، وأغلب الظن إنهم من الاقوام الجزرية موطنهم شمال العقبة، ويسميهم البابليون (ماليق) أو (مالوق)، فأضاف إليها اليهود لفظ (عم) أي الشعب أو الأمة، فقالوا (عم ماليق) أو (عم مالوق)[1]، والعماليق في نظر التوراة من اقدم الشعوب التي سكنت جنوب فلسطين، وقد عدهم (بلعام) أول الشعوب[2]؛ ربما لأنهم كانوا أول من اصطدم بالإسرائيليين أثناء التيه في صحراوات سيناء، ومن ثم فليس صحيحاً ما ذهب إليه البعض طبقاً لرواية التوراة [3] من إنهم من سلالة (اليعازر بن عيسو) جد الأدوميين؛ ذلك لأن هناك نصاً توراتياً آخر يجعلهم يقيمون في جنوب غربي البحر الميت على أيام الخليل إبراهيم (عليه السلام)[4]، وإنه كانوا على ايام موسى (عليه السلام) منتشرين في كل صحراء التيه حتى حدود مصر، وفي معظم سيناء، وجنوب فلسطين، كما كان هناك (جبل العمالقة) في أرض افرايم[5].

إن إثبات أصول العماليق توراتياً، وربط الكنعانيين بهم[6]، إنما يدخل في حيز التشكيك بسامية الأخيريين وإدخالهم في مجال الفرع الحامي[7]، مجذراً يوسيفوس بما دونه من أحداث اقتتاليه بينهم وبين اليهود حالة الصراع الضارب في أعماق التاريخ، مستمداً مادته من التوراة التي ذكرت مراحل الاصطدام الحقيقي بين الطرفين في المرحلة الاولى من التيه، إذ نقرأ في سفر التثنية[8] مهاجمة العماليق بني إسرائيل المنهمكين عند خروجهم من مصر وأسروا جميع مقاتليهم، كما نطالع كذلك في سفر الخروج[9]، إن العماليق قد اتوا لمحاربة بني إسرائيل في (رفيديم) حيث ضرب موسى (عليه السلام) الحجر بعصاه، فانبثقت منه اثنتا عشر عيناً، وفي هذا الصدد قال يوسيفوس ان الإسرائيليين حينما وصلوا إلى (رفيديم) كانوا في حالة يرثى لها من العطش، ومن ثم فقد كان هجوم العماليق عليهم ناجحاً[10]، ربما حدث ذلك بعد عام 1453 ق.م، اثناء خروج اليهود من صمر، بناءً لما رجحنا تاريخية فيما سبق، أي بعد هذا التاريخ بما لا يقل عن (40) إلى (50) سنة، وهي المدة التي اقامها موسى (عليه السلام) في أرض مدين معاصراً كاهنها يثرون[11].

وعليه كشفت بقايا التراث اليهودي المتقارب بين نصوص التوراة ورواية يوسيفوس فهمهم العميق لمعنى (الكنعانيين)، وإيجاد لهم التدابير المستندة إلى مفهوم الهرمية الانثروبولوجية، لحجب الأحقية الاجتماعية عنهم في أرض فلسطين، المبنى على أساسه تاريخ متلازم بين الكنعانيين والأموريين الذين وفدوا إلى الإقليم السوري من بلاد العرب في هجرة واحدة في شمال سوريا، ثم استقر بهم المقام في أواسط حوض الفرات، في حين استقر الكنعانيون على الساحل واشتهروا فيما بعد باسم الفينيقيين؛ نظراً لما عرف عنهم من مهارة في الملاحة[12].

فكان ذلك مدعاة للعلماء في ترجيح أصلهم السامي، ويفسر لنا ذلك التاشبهة اللغوي والقومي بين الاموريين والكنعانيين؛ بحيث يصح عد اللغتين الامورية والكنعانية من فروع كتلة اللغات السامية الغربية، والاختلافات الموجودة بين القومين ناشئة بالدرجة الاولى من استيطان كل منهما في قسم خاص من بلاد الشام، حيث التأثيرات الثقافية الاجنبية التي اثرت في كل منهما، فالأموريون تمركزوا

(1) مهران، محمد بيومي، تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، (الاسكندرية- 2008)، ج1، ص368؛ ينظر أيضاً:
Bayme, Steven, Jewish Arguments and counterargaments, New York(2002), P.P.75-76; Schiffman, Lawrence, B.wolowelsky, joel, war and peacein The Jewish Tradition, New York (2007), P.P.215-216.
(2) سفر العدد، 24: 20؛ عن بلعام وعلاقته بالعماليق ينظر:
Vermes, Geza, Scripture and Tradition in Judaism, Leden (1938), P.167; Deboer, P.A.H, studia post-biblica, Leiden (1961), P.167.
(3) سفر التكوين، 36: 12.
(4) سفر التكوين، 14: 7.
(5) سفر القضاة، 12: 15 ؛ ينظر أيضاً:
J.H.Kurtz, D.D, History of the old covenant, Lindsay and Blakiston(1859), Vol.3, P.95.
(6) سفر التكوين، 10: 6.
(7) مهران، تاريخ العرب القديم، ج1، ص368.
(8) سفر التثنية، 25: 17-19.
(9) سفر الخروج، 17: 7-16.
(10) Josephus, Complete, book 3, P.83.
(11) سفر الخروج، 18: 12.
(12) عصفور، محمد أبو المحاسن، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية، (بيروت-1981م)، ص14.

أولاً في شمال سوريا، وكان أكثر تأثرهم الثقافي من حضارة وادي الرافدين، وقد دخلت فيهم عناصر من السومريين والحوريين، أما الكنعانيون فان حقيقة كونهم استوطنوا السواحل بالدرجة الأولى جعلتهم يتأثرون من الناحية الثقافية بحضارة مصر الفرعونية[1]، مما باتت نظرية يوسيفوس التوراتية ضعيفة وغير مقنعة بالمقارنة مع نظريات العلماء المتكأة على الآثار المادية واللغوية [2].

ربما تبدو الرؤية المركزية التي قدمتها رواية يوسيفوس جاءت متوافقة إلى حدٍ بعيد مع فكرة انغلاق اليهود، وإجهاض الأطراف المناوئة لهم المانعة في تحقيق أهدافهم وطموحاتهم، لغرض إحلال مبدأ التفوق السلطوي في بلاد كنعان، ويتجلى ذلك واضحاً بالجرعات النفسية التي قدمها النبي موسى (عليه السلام) لقومه بعد أن أمرهم بالتحرك من جبل سيناء باتجاه حدود كنعان، وما لاقوه من معاناة وكبوات كادت أن تسهم في انفراط عرى الوحدة اليهودية، ومن ثم أفول نجمهم الذي بدأ يسطع في سماء أرض كنعان، فلم تكن حالة التذبذب والتذمر التي أخذت موضعها في صفوف اليهود آنذاك مانعاً أمام النبي موسى (عليه السلام) في مجادلة قومه واقناعهم بالوحدة المصير والغاية، فبعد وصولهم إلى مكان دعاه مؤرخ اليهود بـ (باران) – قرب الحدود مع الكنعانيين– خطب بهم موسى (عليه السلام) قائلاً: " **شيئان قرر الرب أن يمنحكم إياها هما الحرية وبلد سعيد، الشي الأول قد وهبكم الرب بذلك، أما الثاني فستحصلون عليه في القريب العاجل، حيث سنسكن هنا قرب حدود الكنعانيين، ولن يمنعنا أي شيء للحصول عليه، فلنستعد للعمل؛ لأن الكنعانيين سوف لن يقدموا أرضهم لنا دون أن نقاتلهم، وينبغي أن ننتزعها منهم انتزاعاً بالحرب، ولنرسل الجواسيس ليتعرفوا على الأرض، لنمجد الرب مساعدنا وعوننا**"[3].

وبالرغم من النتيجة المستقبلية التي تنبأ فيها النبي موسى (عليه السلام) في خطابه المذكور، فانه يلحظ أن الأخير بعد ظفره في إقناع قومه في شروعهم نحو تأسيس هيكل الدولة الناشئة، نجده يستحضر عناصر دينية مقدسة ويوظفها في بناء حسه السياسي والتوجيهي والتعبوي لقومه، مخاطباً إياهم بوصفه نائباً للرب الذي أمره بذلك، واتضح ذلك من مقدمة خطابه التي صدرها بالقول: (قرر الرب أن يمنحكم اياها)، وكأنما أراد القول أن الحرب مع الكنعانيين إنما هي جزء من صراع الخير والشر الأزلي وأنه سينتصر في نهاية المطاف[4]، إن القراءة الأولية لهذا النص تضعه في لائحة النصوص الدينية الدعائية التي حاولت إرساء مبدأ الدولة اليهودية المؤمنة بمعتقدها الديني وبكتابها المقدس الذي أقر بالعنف في نصوص كثيرة منها:" **فالآن اذهب واضرب عماليق وحرموا كل ماله ولا تعف عنهم بل اقتل رجلاً وامرأة، طفلاً، ورضيعاً، بقراً وغنماً، جملاً وحماراً**"[5] ونطالع أيضاً: " **ثم رجع يشوع في ذلك الوقت وأخذ حاصور وضرب ملكها بالسيف، لأن حاصور كان قبلاً راس جميع تلك الممالك، وضربوا كل نفس بها بحد السيف، حرموهم، ولم تبق نسمة وأحرق حاصور بالنار، فأخذ يشوع كل مدن أولئك الملوك وجميع ملوكها وضربهم بحد السيف، حرمهم كما أمر موسى عبد الرب**"[6]، ولكن عند قراءتنا نص يوسيفوس المتمحور في دائرة النص المقدس التوراتي نجد فيها تقاطعاً ضمنياً مع نصوص التوراة الأخرى المحرمة للقتل والاعتداء، إذ جاء:" **ومن قتل إنساناً يقتل قتلاً** "[7]، وورد في الوصية السادسة من وصايا موسى العشرة ما نصه:" **لا تقتل**"[8]، بمعنى النهي عن القتل بجميع أشكاله، ولكن المبدأ على مثاليته صعب المنال، فأسفار العهد القديم مليئة بأحاديث القتل والتدمير كما لاحظنا، وأغلب الظن أن هذه الوصية جاءت متأثرة بقانون حمورابي الذي وضع في شريعته أوجه عدة لمبدأ العقاب والقصاص في المواد (195–214)[9]، وقد انتقلت هذه المبادئ إلى العبرانيين فيما بعد[1].

(1) باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج2، ص271.
(2) للاطلاع على هذه النظريات ينظر: الماجدي، خزعل، المعتقدات الكنعانية، دار الشروق (عمان-2001م)، ص12- ص13.
(3) Josephus, Complete, book 3, P.99.
(4) إن الصراع المحتدم بين الخير والشر في المعتقدات القديمة نجده متجذر في الفكر الرافيدين السومري، فلا نستبعد اقتباس العبرانيين هذه الفكرة من الموروث العراقي القديم. للإطلاع عن هذا المفهوم في الكتابات السومرية ينظر: عمران، مريم، الفكري الديني عند السومريين في ضوء المصادر المسمارية، (بغداد-2013م)، ص144-145.
(5) سفر صموئيل الأول: 1/15.
(6) سفر يشوع، 10:11-12.
(7) سفر اللاويين، 22:17.
(8) سفر الخروج، 20: 13.
(9) رشيد، فوزي، الشرائع العراقية القديمة، (بغداد-1973م)، ص81.

وهكذا صور يوسيفوس للقارئ النبي موسى (عليه السلام) بانه المحرك الأساس في إعلان أطباقه على الكنعانيين، ملوحاً إلى قيمة النصر، والوصول إلى الهدف، فالقيادة هي فن التأثير على الرجال وتوجيههم نحو هدف معين يضمن طاعتهم واحترامهم وولائهم وتعاونهم[2]، معتمداً على استراتيجية عسكرية تمثل معياراً جديداً في داخل مؤسسته القتالية، مستنداً على قوة وفاعلية تأثير الجواسيس في تحقيق النصر، وهذا في الواقع مندرج ضمن الفهم والاستيعاب اللذين قدمهما النبي موسى (عليه السلام) عن الأبعاد الذهنية لليهود في رؤيته لا نموذج الخطة الناجمة بشكل يتناغم بصورة كبيرة مع إمكانية تنفيذ الشريعة اليهودية، وهذا ما نراه جلياً في بعض نماذج الجواسيس في ذلك الوقت الذين لعبوا دوراً هاماً في الحروب، ففي سفر العدد نقرأ: "**ثم كلم الرب موسى قائلاً أرسل رجالاً، ليتجسسوا أرض كنعان التي أنا معطيها لبني إسرائيل، وابعث من كل قبيلة رجلاً يكون حاكماً في موقعه، فبعث موسى اثنى عشر رجلاً يتجسسون أرض كنعان ورسم لهم الخطة... فصعدوا وتجسسوا وقد تضمنت طليعة هؤلاء الجواسيس أربعين يوماً، ثم أتوا موسى وقالوا قد ذهبنا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها، وحقاً انها تفيض لبناً وعسلاً، وهذا ثمرها، غير أن الشعب الساكن فيها معتزاً بنفسه، والمدن حصينة وعظيمة جداً**"[3].

فرضت النصوص المقدسة هيمنتها الواضحة على تجليات الفكر التاريخي عند يوسيفوس، فلم يعد متمكناً من إخراج نفسه من حيز هذا التأثير، وإعادة توازنه في سرده لتفاصيل الأحداث؛ وذلك لاتباعه وسائل تدوينية تأقلمت مع مقتضيات الرواية التوراتية، وأكسبته مناعة وحصانة حسب اعتقاده في عدم تعاطي الخبر دون الرجوع إلى مصدره الديني؛ لأن معطيات روايته اشارت بما يوازي ويتفق معه في مجالات عدة منها[4]:

1- إرسال الجواسيس والبحث عن مكامن القوة والضعف في بلاد كنعان.

2- الانسجام والاتفاق بين النصين في مجال المقدار الزمني لاعداد تقارير الجواسيس في أرض كنعان والبالغة (40) يوما".

3- إعلان النتيجة الختامية لتقرير الجواسيس المؤكدة على صعوبات طوبوغرافية لأرض كنعان وتعقيدها؛ بوجود التلال والتحصينات الدفاعية مشكلة عقبة طبيعية أمام التدفق اليهودي فيها.

ولعل الوصف هذا لا يجعل من يوسيفوس مؤولاً للنصوص المقدسة، وإنما متبنياً للأفكار التي روجها العهد القديم، فكانت الإفرازات والآثار المرحلية التي تركتها حركة الاستكشاف اليهودية في أرض كنعان، أثراً ملحوظاً في صياغة مرحلة التوقف الحربي لديهم؛ نظراً للعوائق الطبيعية التي وجدوها عقبات تضاريسية مستحيلة النفوذ منها، فانتابهم الخوف، وانشترت بينهم حركة تذمر وعصيان لأوامر موسى (عليه السلام) مولدةً الشرخ فيما بينهم، إلى درجة ضرب بعضهم النبي موسى (عليه السلام) بالحجارة، ولهذا أعرب الأخير عن استياءه المطلق لما اقترفه اليهود من فعل قائلاً:" **إن الرب غاضب منكم**"، فتاهوا في البرية أربعين سنة حتى فُني الجيل الذي تطاول على موسى (عليه السلام) والرب[5].

إن الهدف المركزي الذي حاول يوسيفوس إيصاله عبر هذه الرواية التوراتية إيجاد إجراءات تاريخية ناجحة إلى حد بعيد في تحقيق مبدأ العدالة الإلهية بإنزال الخالق القصاص على المنشقين من اليهود، منفذاً عليهم عقوبة التيه في البرية لمدة (40) سنة مشحونة بالاضطرابات وعدم الاستقرار، فلم تحظى هذه الحياة حسب قول مؤرخ اليهود بقبول اليهود، فكانت سبباً في اندفاعهم المتسرع للقيام بعمليات عسكرية محتكين بالكنعانيين رغم عدم حصولهم على تأييد أو قبول من النبي موسى (عليه السلام)، لهذا مُني جيشهم بهزيمة

---

(1) قاشا، سهيل، مقتبسات شريعة موسى من شريعة حمورابي، مطبعة بيسان، (بيروت- 2003م)، ص70.

(2) محفوظ، محمد جمال الدين، المدخل إلى العقيدة الاستراتيجية العسكرية، (القاهرة- 1976م)، ص257.

(3) سفر العدد، 13: 26- 33؛ راجع ايضاً: غازي، خالد محمد، الأصابع الخفية، التوظيف الإعلامي السياسي لشخصية الجاسوس، (بيروت-2015م)، ص69.

(4) Josephus, Complete, book 3, P.P.100-101.

وتأكيداً لرواية يوسيفوس ينظر:

I.Foster, Henry, The Mouse In Biomedical Research, New York (1981), Vol, P.P.2-3.

(5) Josephus, Complete, book 3, P.101;

تطابقت رواية يوسيفوس مع النص التوراتي. ينظر:

سفر العدد: 14: 32.

قاسية فسرها يوسيفوس على انها سخطاً من الرب؛ لأنهم تعجلوا الدخول في منازلة دون موافقة الرب [1]، لذا تكونت على أثر هذه الهزيمة كتلتين متفاوتتين في معيار المكانة ومصادر التفوق في تركيبة اليهود، فهناك كتلة متماسكة ومترابطة مع النبي موسى (عليه السلام) وأخرى مهزومة متشرذمة، عندئذ خلق هذا المتغير السيواجتماعي نوعاً من الشد التنافسي بين المؤسسة الهرمية اليهودية، معبراً عن ذلك التوراة بالنص:" **غضب الرب عليهم فنزل العمالقة والكنعانيون الساكنون في ذلك الجبل وضربوهم وكسروهم**"[2].

يلاحظ على الرؤيا النصية التي قدمها كلاً من التوراة ويوسيفوس التوافق مع النظرة الدينية التي أوعزت سبب عدم مواصلة زحف النبي (عليه السلام) عسكرياً باتجاه ارض كنعان إلا بعد انقضاء مدة الـ (40) سنة العقوبة الإلهية المعلنة على قوم موسى (عليه السلام)؛ لعصيانهم أوامر الرب، وعلى الرغم من هذا التعليل المصطبغ بالصبغة الدينية الواضحة، إلا أنه يبدو غير مقتنعاً تماماً؛ ولعل السبب الحقيقي هو أن أرض كنعان كانت آنذاك ساحة حرب بين رعمسيس لثاني والحيثيين، فقد اصطدم الطرفان في معركة ضارية خاضها رعمسيس ضد غريمه (مواتاليس) ملك الحيثيين في قادش(شمال فلسطين) كاد الحيثيون أن ينتصروا فيها، إلا أن الفرعون المصري تمكن من الصمود بشجاعة أمام الحيثيين حتى وصلته الإمدادات فواصل القتال إلى ان انتهى الصراع بعقد صلح بين العاهلين رعمسيس الثاني والملك الحيثي حانوشيلي الثالث، والتوقيع على ميثاق دفاع مشترك ضد أي غزو خارجي أو ثورة داخلية سنة 1296 ق.م، لذلك تجنب (عليه السلام) التوغل في داخل فلسطين[3]، على أن هناك من يرى ان سبب ذلك يرجع إلى خوف الإسرائيليين من المصريين، وانتظاراً للوقت المناسب الذي تضعف فيه السيادة المصرية على كنعان فيدخلونها آمنين[4].

بدأ موسى (عليه السلام) يعد العدة لدخول أرض كنعان، وفي ذلك حدثنا يوسيفوس عن توغله باتجاه منطقة حدودية تقع بين المؤابيين[5] والأموريين، وكانت حسب قوله أرضاً خصبة تنتج ما يكفي لإطعام هذه الجموع الغفيرة، وفي هذه الأثناء قام موسى (عليه السلام) بإرسال رسل إلى ملك الأموريين (سيحون) (Sihon) يطلب منه مرور جيشه عبر أراضيهم، وضمن له عدم الاعتداء عليهم وشراء ما يحتاجه منهم، إلا أن سيحون رفض ذلك، وأعد جيشه على شكل صفوف؛ لكي يمنعهم من المرور عبر نهر ارنون Arnon[6]، وحين رأى موسى (عليه السلام) بان ملك الأموريين يستعد لقتالهم وجد من الصعب تحمل هذه الإهانة واستشار الرب في أن يأذن له بمحاربتهم، فكان له ذلك ووعده بالنصر، وتحرك بسرعة ودارت معركة بين الطرفين أبدى فيها اليهود شجاعة فائقة على عكس الأموريين الذين ارتعبوا من اليهود وفروا أمامهم، وطارد اليهود فلول الأموريين الذين هربوا في كل اتجاه، وقتل ملكهم سيحون، وقام اليهود بأخذ الغنائم واستولوا على الأرض التي كانت مليئة بالفواكه، وأخذوا معهم أسرى، مستولين على أراضي الأموريين التي كان يحدها نهر ارنون من الجنوب، ونهر جابوك من الشمال، وكانت الأردن على ساحله الغربي[7].

أثار النص تساؤلاً عن مصدرية رواية يوسيفوس، ومكامن اعتماده السردي للأحداث؛ محفزاً الاستفهام هذا الرغبة في البحث عن الجذر الحقيقي لهذه الرواية المستندة عل النص التوراتي، لذا كمنت الأهمية في التلازم العضوي بين المصدرين، ففي سفر العدد نجد سرداً وصفياً امتزج فيه العنصرين التاريخي والجغرافي محاطاً بالهالة الدينية المقدسة لليهود، إذ نقرأ:" **وامتلك الإسرائيليون كل مدن**

(1) Josephus, Complete, book 3, P.102.

(2) سفر العدد، 13: 32.

(3) سوسة، أحمد، العرب واليهود في التاريخ، ط7، العربي للطباعة (بيروت-1990م)، ص615.

(4) النجار، حسين فوزي، أرض الميعاد، (القاهرة-1959م)، ص156.

(5) المؤابيون: يرجع أصل المؤابيون إلى لوط، وقد سكنوا في المنطقة الواقعة شرقي البحر الميت، وهذه المنطقة كان يسكنها الرافائيون من قبلهم، والى الشمال منهم استفر بنو عوف. نجيب، قليني، الكتاب المقدس بين التاريخ والآثار، ط2، مطبعة سان مارك، (2008م)، ص92.

(6) نهر أرنون: وهو نهر يدعى الآن وادي الموجب في المملكة الأردنية الهاشمية، ويتكون من موادي (وله) الذي يأتي من الشمال الشرقي، ووادي (عنقلية) الآتي من الشرق، وسيل الصعدة الآتي من الجنوب، ويجري نهر أرنون في غور عميق حتى يصل إلى البحر الميت في نقطة تقع إلى مسافة قصيرة من منتصف الشاطئ الشرقي، ينظر: قاموس الكتاب المقدس، ترجمة: د.جورج بوست، (بيروت-1984م)، ج1، ص57.

(7) Josephus, Complete, book 3, P.108;

وتطابقت رواية يوسيفوس مع الأبحاث الأجنبية للإطلاع عليها ينظر:

Nelson, Thomas, Know the word study Bible New York (1995), P.231; Macarthur, Hohn, The macar Thur Bible commentary, New York (2005), P.P.201-202; Curtis, Adrian, Oxford Bible Atlas, Oxford (2007), P.xxxv.

الأموريين، ومن جملتها حشبون وضواحيها واقاموا فيها، لأن حشبون كانت عاصمة سيحون ملك الأموريين الذي كان قد حارب ملك مؤاب السابق واستولى على أراضيه كلها حتى أرنون"[1].

وبالرغم من هزيمة الإسرائيليين سيحون، فقد كانت هناك كما يبدو قوات كبيرة إلى الغرب من أراضي الملك الأموري؛ لأن الإسرائيليين لم يستطيعوا التقدم إلى وادي الأردن للوصول إلى فلسطين، بل كان عليهم أن ينحرفوا شمالاً إلى باشان [2]، ولهذا أخبرنا يوسيفوس عن تحرك عسكري قاده عوج (Og) ملك جلعاد والكولانتيين (Gllead and Goulanitis) لقتال الإسرائيليين ومساعدة صديقه سيحون، وعلى الرغم من أنه قد وجده ميتاً في المعركة، إلا أن قرر مقاتلة اليهود ظناً منهم بان جيش الأخريين قد استنزفت قوته، إلا أنه مُني بهزيمة شنيعة وتم تدمير جيشه، وهكذا مرَّ موسى (عليه السلام) على نهر جابوك (Jabbok) –شرق الأردن– واكتسح مملكة (عوج) ومدنها وقتلوا ساكنيها[3]، وهناك من أرخ هذه الأحداث بنهاية عصر البرونز الأخير (1500–1200 ق.م) وقرب بداية عصر الحديد (1200–330 ق.م)؛ ذلك لأن التوراة ذكرت في سفر التثنية [4] ان عوج (ملك باشان)، إنما كان له سرير من الحديد[5]، ليحدثنا يوسيفوس عن تحرك (عليه السلام) بعد ذلك بجيش إلى الأردن واقام معسكراً هناك في السهل المقابل لجريكو (اريحا)– وهي مدينة في مكان جميل مليئة بأشجار النخيل – ويبدو ان نشوة الانتصارات اليهودية قد دفعت (عليه السلام) كما يفهم من رواية مؤرخ اليهود إلى قيامه بحملة عسكرية وجهها لتدمير المديانيين (midianite) والاستيلاء على مدنهم، بعد أن علم باتفاق المؤابيين معهم لقتال اليهود، مشتبكاً معهم في معركة ضروس سقط على أثرها أعداداً غفيرة من المديانيين بما فيهم خمسة من الملوك أوردهم يوسيفوس على التوالي (فز Viz) و(أفيEvi) و(زورZur) و(ريباReba) و(هور Hur) و(ريكمRekem) وقام اليهود بالاستيلاء على غنائمهم وقتلوا حتى نسائهم ألا أنهم ابقوا على العذراوات من النساء[6].

ولعلنا نتساءل عن السبب الجوهري الداعي لهذه المجزرة؟ خاصة ان يوسيفوس لم يفصح عن الدوافع الماورائية الكامنة خلف هذا السلوك القمعي الاستبدادي الذي طال أرض مدين وأهلها؟ على الأغلب ان سرَ ذلك يرجع إلى قيام اهل مدين بعقد حلفاً عسكرياً مع ملك مؤاب في أجزائها الشمالية ضد بني إسرائيل بالاستناد على ما ورد في سفر العدد[7]، ووفقاً لما ورد في مظان التوراة فان موسى (عليه السلام) كان مضطراً لأن يعلن الحرب على أهل مدين؛ لأن بنات مدين قد أضللن بني إسرائيل وأغوينهم حين كانوا في الأردن، ولهذا أمر موسى(عليه السلام) بقتل أربعة من ملوكهم وغنموا ماشيتهم، واضرموا النار في جميع قراهم ومضاربهم، ولا نعرف لماذا زاد يوسيفوس ملكاً خامساً ما دام قد اعتمد على التوراة في إيراد القصة؟ ولنا الحق ان نستفهم عن سبب قتل موسى (عليه السلام) لهؤلاء الملوك؟ فبالعودة إلى سفر يشوع[8] نجد ظالتنا في الاجابة اذ يبين ان ملوك مدين هؤلاء كانوا يسكنون في أرض سيحون، ولم يكن الاخير مؤابياً، ولكنه أجنبي طرد المؤابين من ارضهم في شمال الارنون، وأقام هناك في مدينة حشبون، فمن الممكن بل ربما كان ذلك هو الاحتمال الاصدق أن اهل مدين قد صحبوه من أرضهم الاصلية واستقروا معه في الارض التي اعانوه على امتلاكها[9]، وبالتالي عقد شيوخ مدين حلفاً مع

(1) سفر العدد، 21: 25-26؛ ينظر ايضاً:
Bush, George, Notes, Critical and Practical on the Book of Joshua New York(1862), P.54.
(2) هاردنج، لانكستر، آثار الأردن، تعريب سليمان موسى، مشنورات اللجنة الأردنية للتعريب ن (عمان- 1965م)، ص29.
(3) Josephus, Complete, book 3, P.108;
تماثلت رواية يوسيفوس وتطبقت مع الدراسات الأجنبية ينظر:
Garcia, Zen, The Aramaic and Palestinian Targum, New York (1862), P.361 ; Stancato Michael Ross, The Heavenly way, New York (2001), P.P.5-6.
(4) مهران، بنو إسرائيل، ج1، ص442.
(5) Josephus, Complete, book 3, P.114.
(6) سفر العدد، 22: 4، 7.
ينظر أيضاً:
Hodgson, F.R, Kitabu cha, nn cha Musa: Hesabu, Universities mission,)1887), P.P.100-105; Goble, Phillip, New creation bible for muslims, New York(2017), P.383.
(7) سفر العدد، 25: 17.
(8) سفر يشوع 13: 21.
(9) ا. موسل، شمال الحجاز، ترجمة عبد المحسن الحسيني، مؤسسة الثقافة الجامعية (الاسكندرية- 1952)، ص78.

(بالاق بن صفور) ملك مؤاب ضد بني اسرائيل، ونقرأ في سفر العدد ان الرب قد أمر موسى (عليه السلام) أن: "**انتقم نقمة لبني اسرائيل من المديانيين، ثم تضم إلى قومك**"، وتستمر رواية التوراة بعد ذلك فتذهب إلى ان موسى (عليه السلام) قد أرسل جنده إلى مديان، فقتلوا ذكورها، وسبوا نساءها وأطفالها، ونهبوا ماشيتها[1].

ونص التوراة ورواية يوسيفوس غريبة ما في ذلك من ريب، فالنصين يصوران موسى(عليه السلام) حريصاً على قتل رجال مدين فضلاً عن السبايا من النساء، والذين لم يبلغوا الحلم من ذكورهم، ولعل من العجيب ان يكون ذلك مع قبيلة آوته وأكرمته وصاهرته، ثم عاد منها كريماً لانقاذ بني اسرائيل من سخط فرعون وعذابه المهين، فهل يوجد ازدواجية غير مقنعة اكبر من هذا الادعاء؟ الذي اوقع بمحرري التوراة وبيوسيفوس الذي اصبح اسيراً للتوراة دون ان يبدي رده أو اعتراضه على ما ورد من تلفيق وزيف طال النبي الكريم (عليه السلام) وهو براءة من ذلك كله؛ وليس من شك في ان الخيال الاسرائيلي قد لعب دوره هنا إلى ابعد الحدود، فهل كان بنو اسرائيل في مرحلة التيه هذه بقادرين على سحق المديانيين إلى هذا الحد؟ فالتوراة نفسها وبعد كل ما زعمت ان بني اسرائيل قد فعلوه بالمديانيين، وبعد ان استقر بنو يعقوب في فلسطين تفاجئنا بروايات تذهب فيها ان المديانيين انما كانوا يظهرون في فلسطين في كل عام ينشرون الفزع والرعب بين الاسرائيليين بجمالهم السريعة[2].

المبحث الثاني

احوال اليهود السياسية بعد وفاة النبي موسى (ع) في ارض كنعان حتى عام (1060ق.م)

في خضم تزاحم الاحداث وتشابكها في ارض كنعان، اخبرنا يوسيفوس عن شيخوخة النبي موسى(عليه السلام) بعد أن بلغ من العمر مائة وعشرون عاماً، فعين يوشع خلفاً له، وقدم له كافة القوانين والاوامر التي تلقاها من الرب، وخطب بقومه قائلاً: "**ان افضل مصدر للسعادة هو رضا الرب**[3]، ليوافى النبي الكريم الأجل ويؤل الامر إلى (هوشع بن نون) من سبط افراهيم، وقد غير موسى(عليه السلام) اسمه إلى يشوع، ولد في مصر، وكان في بادئ الامر خادماً لموسى طبقاً لرواية سفر الخروج[4]، ثم بدأ يظهر في الافق منذ موقعة (رفيديم) حيث كان موسى قد عينه وقتئذ لقيادة بني اسرائيل[5].

حمل مشهد التتويج هذه دلالات تاريخية يمكن قراءتها واستيعابها بشكل الضمني، كالتأكيد على الشرعية السياسية والدينية التي اضافها النبي موسى(عليه السلام) على يوشع، وانتقال السلطة اليه بمباركة سماوية، عكس ايضاً وجهة النظر اليهودية بحرفية عالية في كيفية تداخل الدين بالسياسة فقد حرص نصي التوراة ويوسيفوس على اظهار هذا الترابط والتلازم بين سلطة النبي الدينية وتأثيره الدنيوي المتمثل بالتفويض السياسي ليوشع، وامتداده باتجاه النفوذ إلى رمزية الدين، اذ نلحظ في روايتهما رفع الاخير إلى مرتبة موازية لمكانة النبي موسى(عليه السلام)، فكما كلم الرب موسى(عليه السلام) من قبل، فقد كلم يوشع من بعد[6]، اذ نقرأ: " **قم أعبر إلى الاردن، انت وكل الشعب إلى الارض التي انا معطيها لكم، كما قلت لموسى، من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير، نهر الفرات، جميع اراضي الحيثين، والى البحر الكبير نحو مغرب الشمس... بذلك انت تقسم لهذا الشعب الارض التي حلفت لآبائهم ان اعطيهم**"[7].

وتأسيساً لمعطيات النص التوراتي نلحظ الانصياع الفلسفي الحاد والتنظير التطبيقي المطلق لابعاده متجسدة بصورة كبيرة في المنطلقات التاريخية، التي روجها يوسيفوس ليفضي على نصه الديني تجربة عميقة لتأهيل فكرة واقعية في اعلان انسجامه مع التوراة، وان تجليات هذا المنظر نجده مترجماً في كتاباته، فقد بلور قصة سقوط جريكو (اريحا) بمجريات وتفاصيل أجد من الاهمية بمكان اقتضابها، لفهم ما دار فيها من احداث وتطورات مست التاريخ اليهودي القديم، مؤسسةً بداية تواجدهم في ارض كنعان، ومقارنتها مع

(1) سفر العدد، 31: 18.
(2) سفر القضاة، 6: 1-12 ؛ ينظر ايضاً: مهران، تاريخ العرب القديم، جـ1، ص356.

(3) josephus, Complete, Book3, 114.

(4) سفر الخروج، 24: 13.
(5) سفر الخروج، 17: 9.
(6) سفر يشوع 1:1.
(7) سفر يشوع 1: 2-6 ؛ ينظر ايضاً: ليوتاكسيل، التورات كتاب مقدس، أم جمع من الاساطير ؟، ترجمة: حسان ميخائيل اسحق، ص261.

الحقائق الاثارية للخروج بموجب هذه المطابقة التناصية بيانات جديدة لادراك ماهية الاحداث وترابطها زمكانياً مع الواقع، فبعد ان تولى الرب موسى(عليه السلام) وانتهى الحداد عليه، أمر يوشع الجموع للاستعداد لحملة عسكرية وجهتها مدينة دعاها يوسيفوس بـ: (جريكو) (اريحا) مبتدءاً سياقاته الحربية بإرساله الجواسيس اليها، لمعرفة نواياهم وقوتهم وكان ينوي عبور الاردن في الوقت المناسب، داعياً قبائل اليهود إلى التوحد، مذكراً اياهم بوعدهم لموسى(عليه السلام)، أخذاً منهم (20) الف رجلاً، عبر بهم من ابيلا إلى الاردن، ونصب معسكراً هناك، لتصله اخبار جواسيسه بما عرفوا عن دولة الكنعانيين وعن قوتها واسوارها، ويبدو ان حصانة المدينة وقوة سكانها لم تكن حائلاً في تقدم يوشع الذي قاد الجيش حتى وصل على بعد (10) فراسخ من مدينة (جريكو) (اريحا)، وبنى هناك هيكلاً، واحتفلوا بذكرى عبور اليهود من مصر، وبينما هم على هذه الحال، ولم يقدم الكنعانيون على مهاجمتهم قرر يوشع فرض الحصار عليهم، وبعد حصار دام ستة ايام جمعهم يوشع في اليوم السابع واخبرهم بان عليهم مهاجمتهم، وامرهم بقتل كل واحد منهم، وان لا تأخذهم في ذلك شفقة، وهكذا طوقوا مدينة جريكو (اريحا) ومن ثم دخلوها وقتلوا كل الرجال الذين كانوا هناك، وقتل ايضاً حتى النساء والاطفال، وامتلأت المدينة بالجثث، ولم ينجو منها احداً، ثم قاموا بحرق المدينة بكاملها، والجزء الذي لم يحرق دمره حتى الاساس ليتمكن اليهود من جمع كميات كبيرة وعظيمة من الذهب والفضة[1].

إن قراءة الرواية وتمحيصها باتجاهات عدة نجد فيه تناقضات شديدة ومتلازمة بمجالات متنوعة أكد عليها يوسيفوس دون ان يعيها ساقته ثغرات التوراة وفجواته في حيزها الضيق، من غير ان يقدم تفسيراً مقنعاً لتقاطعات النص التوراتي وفجواته المتضمنة للقصة والمنصوص عليها في سفر يشوع[2]، فكيف تكون المدينة محصنة بأسوارها وطابعها الطوبوغرافي المعقد، وقوة وسائلها الدفاعية المستحكمة بواسطة سكانها وتخترق بهذا الشكل وتدمر بهذه الطريقة المروعة؟ والأدهى من ذلك كيف استطاع يوشع جمع قوة عسكرية يهودية بلغت حسب تقدير يوسيفوس (20) الفاً؟ فاذا كان مقدار الجيش هكذا؟ فكم كان اذاً عدد اليهود الاجمالي المتجهين صوب ارض كنعان آنذاك؟ وكيف استطاع قيادتهم وتوجيههم بهذا العدد الهائل موفراً لهم مستلزماتهم العسكرية؟ لاشك حمل النص بُعداً اعلامياً اكثر مما هو تاريخي فالمبالغة باتت واضحة كوضوح الشمس.

ويبدو ان هيكل الجيش اليهودي المبالغ فيه اخذ بالتناقص في رواية يوسيفوس بعد ان اتم حديثه عن حملة يوشع على (جريكو) (اريحا)، وانتقاله بالقارئ إلى حملة ارسلها الاخير للاستيلاء على مدينة (عاي) (Ai) الواقعة شمال (جريكو) (اريحا) والبالغ حسب تقديره (3000) مقاتل[3]، فلماذا هذا التقليص في المقدار؟ في الوقت ان حملته هذه جوبهت بمقاومة عنيفة خسر اليهود بمقتضاها رجالاً كثر وتقهقر الباقون، ليعيد يوشع الكرة من جديد للاستحواذ والاطباق على المدينة منفذاً خطته الجديدة، في استدراج مقاتلي عاي خارج مدينتهم ومن ثم الانقضاض عليهم، وهذا ما حصل فعلاً وبنجاح الخطة اكتسح يوشع المدينة وقتل كل من فيها، وسبى النساء والاطفال، واستحوذ على الاموال والاثاث والماشية وقسمها على رجاله[4]، وبمقارنة الرواية ومطابقتها مع التوراة نجدها متماثلة من حيث عدد الجيش ومجريات الحملة ونتائجها، مما قدم لنا تفسيراً لأسباب اختيار يوسيفوس رقم (3000) مقاتل دون غيره لاقتحام مدينة عاي.

ومهما يكن من أمر فان قصة اختراق يوشع لجريكو (اريحا) و(عاي) قد لا نجد ما يوثقها في علم الاثار المادية، فإن التنقيب الاثري قد فشل حتى الان في تقديم الدلائل على تاريخية الرواية التوراتية المتبناة من قبل يوسيفوس، ففيما يتعلق باريحا، اثبتت نتائج التنقيب الاثري الذي ابتدأ في الموقع منذ عام 1876 واستمر بشكل منقطع حتى ستينات القرن العشرين ان المدينة قد دمرت في عصر البرونز الوسيط حوالي عام 1560ق.م، ولم يعد بناؤها كمدينة مسورة خلال عصر البرونز الاخير، رغم العثور على كسرات فخارية بين جملة دلائل اخرى تشير إلى قيام سكن عرضي فوق التل خلال عصر البرونز الوسيط، وهذه الدلائل تتوقف مع نهاية القرن الرابع

(1) josephus, Complete, Book3, PP. 127-128.

(2) سفر يشوع، 6: 24- 26.

(3) josephus, Complete, Book3, P. 128.

(4) josephus, Complete, Book3, P. 129.

عشر ويخلو الموقع تماماً من دلائل الحياة، وهذا يعني ان اثار السكن قد توقفت تماماً قبل قرن كامل من التاريخ المفترض لهجوم يوشع على اريحا، وان الاسوار التي سقطت من تلقاء نفسها بمعجزة من الرب، كانت قد تهدمت من قبل ذلك بأكثر من ثلاثة قرون[1].

وان بعض الباحثين يرى في قصة احتلال يوشع لمدينة (عاي)، كلها مجرد خيال؛ ذلك لأنه لم تكن هنا مدينة باسم (عاي) اثناء الغزو الاسرائيلي لفلسطين، حيث ان موقع (عاي) –تقع مكان التل الحالية على مبعدة 20كم إلى الشمال الغربي من اريحا– قد قامت بالحفر فيه (مدام جوديث ماركيت كروز)[2]، فيما بين عامي 1933– 1935 فكشفت عن بقايا مدينة هامة من عصر البرونز المبكر وان هذه المدينة قد دمرت وهجرت تماماً حوالي عام 3200ق.م، وانها لم تسكن مرة ثانية، اذ استثنينا فترة قصيرة فيما بين عامي (1300–1000ق.م)، هذا فضلاً عن اسم (عاي) هذه انما يعني(الخراب)، ومن هنا يرى العلماء ان التفسير المحتمل لرواية التوراة المقتبسة من قبل يوسيفوس هو الخلط بين عاي وبيت ايل وتقع على مسافة تقل عن ميل ونصف من عاي[3].

وانعكاساً لديباجات يوسيفوس الروائية في اثبات فكرة احياء مآثر اليهود، لانعاش ذاكرتهم التاريخية بإعطائهم اهمية مضاعفة في تحقيق مطامعهم السياسية وتطلعاتهم ازاء القبض على ارض كنعان والامساك بها، عبر محيطها الجغرافي، والارتكاز حول المناطق ذات البعد الاستراتيجي، معطياً بمدياته مجالاً محورياً تمركزت عليه معظم اتجاهاته في ترسيخ فكرة الاحقية المطلقة المستندة على مبدأ الجاذب المزمن بين (اليهود وبلاد كنعان) تمظهر ذلك بصورة التهاوي والسقوط الملفت للنظر وبسرعة هائلة بيدهم، بغية اقناع المتلقي على وجود فجوات وتقاطعات افضت إلى هذا الواقع وفق تراتبية متقاطعة ومتناظرة بين الكنعانيين والمنطقة كاشفاً بمقتضاه الادوار المباشرة وغير المباشرة في جذب القارئ باتجاه قراءة أسباب التمكين الإسرائيلي في تعجيل احتلال المدن الكنعانية، تجسد ذلك في قول يوسيفوس:" **بعد ذلك قان يوشع ورجاله بالقضاء على كافة المدن الكنعانية الواحدة تلو الأخرى، وانقضت خمسة سنوات ولم يتبق أحد من الكنعانيين عدا الذين هربوا إلى أماكن قوية**" [4]، على أن الباحثين إنما يكادون يجمعون الآن على أن غزو كنعان إنما كان بعيداً عن التحقيق على ايام يوشع وليس كما افترض يوسيفوس؛ وذلك لأن هناك كثيراً من المدن الحصينة في طول البلاد وعرضها، ولم تخضع لبني إسرائيل، فضلاً عن مجموعات من القبائل، بل أن احتلال كنعان حين تم إنما حدث عن طريق جهود كل سبط في الدفاع عن منطقته، وان ذلك استغرق مدة تزيد عن القرن من الزمان، ومن هنا فليس صحيحاً ما روته التوراة ويوسيفوس من أن الغزو قد تم في جيل واحد أو في خمسة أو سبعة أعوام، وإنما استمر طوال عهد القضاة، وحتى بداية عصر الملوك الأول، إذ تم الاستيلاء على أورشليم ومجدو وبيت شان ومنطقة دورو وجازر، بل أن أورشليم لم يتم الاستيلاء عليها إلا على ايام داود، وجازر على أيام سيلمان بقوات مصرية [5].

ومع ذلك كله فان عنصر الحذر والتوجس أخذ يتنامى ويتجذر في البنية العقلية العسكرية ليوشع، مشكلاً تحدياً جديداً واجهته إزاء ادعاءاته الداعمة لمشروع اليهود في إقامة دولتهم، أُريد عبر نصوص يوسيفوس تثبيت تلك التصورات في الذهنية المركزية العامة، وحفر الذاكرة تدريجياً في إعلان سطوتهم وفرض قوتهم بإخضاع معاقل التذمر والمقاومة الكنعانية واجهاضها، مما تطلب إيجاد خطط عسكرية جديدة لتأمين خطوط الامتداد صوب أورشليم، في وقت تراخى وضعف بناء الدولة الكنعانية المؤسساتي واختلالها، وبناءً على ذلك اشار يوسيفوس إلى إجراءات تنظيمية لليهود عقب انتصاراتهم أُريد بها إدراك مديات الفكر العسكري اليهودي وتطوره بالتلويح إلى محورين أساسين هما:[6]

(1) السواح، فراس، ارام دمشق واسرائيل في التاريخ التوراتي، دار علاء الدين، (دمشق- 1995)، ص94.

(2) Judith marquet Krauss, Les Fouilles de Ay, (et tell), (1933-1935), vol.2, 1910.

(3) مهران، بنو اسرائيل، جـ2، ص557.

(4) josephus, Complete, Book3, P. 131.

(5) سفر يشوع، 14: 10-11؛ سفر صموئيل الثاني، 5: 6-9؛ سفر الملوك الأول، 9: 16؛ ينظر أيضاً:
Epstein, L, Judaism, penguin (1970), P.33.

(6) josephus, Complete, Book3, P. 131-133.

1-تأمين الخطوط الهجومية والدفاعية لليهود والحفاظ على مؤسسة الجيش بنقل مقرها من المدن المفتوحة والتوجه صوب الجبال المعقدة تضاريسياً مما يصعب الوصول إليها عبر حركات المقاومة الكنعانية.

2-قسم البلاد على أسس قبلية، موزعاً الوجود اليهودي وفق اعتبارات مناطقية، فوضع قبيلة (جودا) على الأرض الممتدة من جوديا إلى أورشليم، من ضمنها مدينة حسقلون (Akelon) وغزة (Gaza)، اما حصة قبيلة (سيميون) فتمتد من اديوميا إلى حدود مصر والجزيرة العربية، وحصة قبيلة (بنيامين) من نهر الأردن إلى البحر، وهكذا بقية القبائل، مستمداً يوسيفوس حصيلة معلوماته من سفر يشوع المسهب بتفصيلاته عن أسماء قطع الأرض التي وزعت على كل سبط من اسباط بني يعقوب، ونصادف في الفصول المذكورة فيه تعداداً لكم من المدن، فعلى سبيل المثال حصلت قبيلة يهوذا على مائة مدينة ما عدا القرى، أما اللاويون فقد حصلوا على ثمان واربعين مدينة موزعة في أراضي القبائل الاثني عشر[1].

وبالرغم من كثافة الإشارات التاريخية التي قدمها يوسيفوس متزاحمة عن الاحتلال اليهودي لكنعان، والتي أخرجها من حدودها الدينية المحضة إلى مستويات سيواجتماعية فسحت المجال لليهود في التعبير عن تطلعاتهم السياسية ورغباتهم الجامحة في إقامة دولتهم في فلسطين، وهي صورة لا تخرج عن الإطار العام الوارد في المدونة التوراتية ذات الرؤيا المفعمة بتأثيرات كتبة العهد القديم على صياغة التاريخ، الا ان السؤال المفصلي الواجب طرحه، والإجابة عليه بالمطابقة النصية مع الحقائق الاركيولوجية والأثارية التي أقرتها نتائج الدراسات والأبحاث المتعمقة والرائدة التي زارت المنطقة وخلصت إلى جملة من الأفكار والطروحات يمكن من خلالها رسم ملامح الإجابة على استفهامنا المطروح، هل حدث غزو لكنعان حقاً كما روج بذلك يوسيفوس معتمداً على القصة المركزية للتوراة؟ أم لا يعدو كلامه إلا أن يكون ضرباً من الأسطورة والخيال؟ بالرغم من حقيقة ان المدن القديمة مثل أريحا وعاي المذكورة في قصة الغزو قد تم فعلاً تحديد مكانها وتنقيبها، إلا أن الدليل على حصول الغزو التاريخي لكنعان من قبل اليهود دليل ضعيف، يمكن للأدلة الاثارية أن تساعدنا على تمييز أحداث التاريخ الحقيقية من الصور القوية للقصة التوراتية غير الواقعية، وفي ذلك لخص الباحث جوزيف كالووي (J.Callaway) نظرته عن هذا الغزو بالقول:" إن البيانات الاركيولوجية غير مقنعة وتتعارض في معظمها مع الرواية التوراتية، إلى درجة لا تستطيع معها أنصار نظرية الفتح العسكري من أمثال ايجال يادين، إقناعنا بها إلا بواسطة الإيمان الأعمى، إن النص التوراتي عن الفتح العسكري قد أخذ شكله الذي وصل ألينا بعد فترة طويلة من استقرار الاسرائيليين في الأرض، وهذا الشكل يمكن وصفه بالتاريخ الوعظي أو التبشيري، مما يلاءم القائمين على الصياغة خلال عصر المملكة، ولتحقيق هذه الغاية، فان المحررين قد اختاروا مقتطفات متفرقة من مصادر وصلت اليهم وصاغوا منها قصة عن بدايات إسرائيل، وذلك من وجهة نظر لاهوتية " [2].

وإدراج الباحث الإسرائيلي فنكلشتاين اعتراضه الشديد على تفاصيل القصة التوراتية المروية من قبل يوسيفوس مفنداً إياها بموجب جملة من الاعتبارات أهمها[3]:

1-ان بلاد كنعان في العصر البرونزي المتوسط هجر مدنها وانكمشت، ولم يكن مجموع عدد السكان المستقرين في ربوعها يتجاوز المئة ألف نسمة، والبرهان في ذلك هو ما نجده في أحد رسائل ألواح تل العمارنة أرسلها ملك أورشليم إلى فرعون، يطلب منه ان يمده بخمسين رجلاً لحماية الأرض، ورسالة أخرى أرسلها ملك (مجدو) تؤكد ايضاً صغر حجم قواته في تلك المدة، حيث طلب فيها من فرعون مصر إرسال مئة جندي لحراسة المدينة من هجوم محتمل من قبل ملك شكيم (نابلس)، فأين قوة المدينة وحصانتها؟ واستعداد سكانها للقتال، وكثرة عددهم، كما أوضح ذلك التوراة ويوسيفوس؟ ! في وقت كان من المستبعد تماماً أن يتباطأ الفرعون

(1) ليوتاكسيل، التورات، ص219؛ الغنمي، عبد الفتاح مقلد، هل لإسرائيل حق تاريخي في فلسطين، (القاهرة- 2000م)، ص156؛ الخشبة، غطاس عبد الملك، رحلة في إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج، دار الهلال، (القاهرة-1990م)، ص211.

(2) Callaway, Joseph, The Settlmention Canaan (in: Hershel shanks, edt, Ancient Israel, New York (1967), P.P.64-65;

ينظر أيضاً: السواح، أرام دمشق، ص96.

(3) فنكلشتاين، التوراة اليهودية، ص214-ص216.

رعمسيس الثاني الذي حكم في أغلب القرن الثالث عشر قبل الميلاد عن اشرافه العسكري على كنعان نظراً لما عرف من قوة وشغف بالشؤون الخارجية.

2- إن قبضة مصر على كنعان في القرن الثلث عشر قبل الميلاد كانت أقوى بكثير من أي وقت آخر، فكان الجيش المصري يعبر صحراء سيناء على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط؛ لإخضاع المدن المتمردة، ويفرض إراداته على السكان المحليين، فقد اكتشف على معقل مصري أثناء التنقيب في موقع (بيت شان) –جنوب الجليل– احتوت ابنيته المختلفة وفناءاته على تماثيل وأنصاب كتب عليها بالهيروغليفية تعود لعهد الفراعنة (تيتي الأول 1292–1153ق.م) ورعمسيس الثاني (1279–1213ق.م) ورعمسيس الثالث (1184–1153ق.م) بل كشفت المدينة الكنعانية القديمة (مجدو) على دليل الحضور المصري القوي حتى فترة متأخرة كأيام رعمسيس السادس الذي حكم نحو نهاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد، أي بعد فترة طويلة من غزو الإسرائيليين المفترض لكنعان، إذ من المستبعد جداً أن تبقى الحاميات المصرية في كافة أنحاء البلاد مكتوفة الايدي، وهي تشاهد مجموعة من اليهود يعيثون خراباً وفساداً في أنحاء مقاطعة كنعان كافة، كما لا يمكن تصديق أن لا يترك دمار العديد من المدن على أيدي غزاة محتلين أي أثر في السجلات الشاملة آنذاك للإمبراطورية المصرية، فكيف إذاً يستطيع اليهود وهم المطرودون الضعفاء من مصر لمواجهة الفراعنة في مرحلة القوة والاتساع جغرافياً باتجاه أرض كنعان؟ إلا يُعد ذلك مفارقة لا يمكن قبولها وكان على يوسيفوس كمؤرخ انبرى لدراسة تاريخ شعبه ان يقف عند هذه النقطة؛ كونه اعتمد على الوثائق المصرية القديمة في تدوينه للأخبار؟ فأين هو من هذا التناقض؟

ومهما يكن من أمر فقد واصل يوسيفوس[1] سرده لتاريخ اليهود بعد وفاة يوشع عن عمر ناهز 110 سنة، موضحاً ما حلَّ بهم من نكبات وتوالي المصائب، موعزاً سببها لغضب الرب عليهم بعد أن خلدوا عن الدعة ولم يقاتلوا أعدائهم، وتوجهوا نحو زراعة الأرض، وانغمسوا بالملذات، ولم يعيروا أهمية للقوانين الموسوية، وتركوا الكنعانيين، وأصبح الإسرائيليون كُسالى، ولعل الغاية التي يمكن تلمسها في سرده لتلك التفاصيل تجسيده لفكرة ثنائية الإيمان والكفر في المفهوم الفلسفي اللاهوتي اليهودي، وما نتج عنها من مخرجات أثرت على سيرتهم الوحدوية، ومن ثم تعرضهم إلى هجمات خارجية كانت موجعة في نظر مؤرخ اليهود، والتي يمكن تناولها تحليلياً وفق رواياته على النحو الآتي:

1-الحرب (الآشورية- اليهودية):

قال يوسيفوس إن الملك الآشوري جوشان (Chushan) شن حرباً لا هوادة فيها ضد اليهود خسر فيها الأخيرين الكثير من جنودهم في المعركة، وافرزت جملة من النتائج أهمها إعلان الاحتلال الآشوري لفلسطين، وفرض الجزية السنوية عليهم لمدة ثمان سنوات، إلى أن ظهر شخص اسمه (اوثينال) (Othniel) بن كيناز من قبيلة جودا (Gudah) الإسرائيلية، وكان حسب زعمه شجاعاً مقداماً اشتبك مع الملك جوشان بمعركة انتصر من خلالها على الآشوريين وأجبرهم على الفرار وعبور الفرات[2].

ولعلنا لا نجد مناصاً إلا أن نسأل عن مصدرية معلومات يوسيفوس بهذا الخصوص؟ وكيف استطاع تأصيل فكر تراكمي من المعلومات لتجسيده أطراف القصة ومجرياتها؟ خاصة ان التوراة لم تفصح عن اسم ملك عراقي بهذا الشكل لا من قريب او بعيد، مما يتجلى فينا الاعتقاد على اختلاقه للحرب لأحداث الموائمة بين ثنائية الخير والشر في استطراده اللاهوتي؟ وإلا من أين جاء بهذه التفاصيل؟ فلو أحدثنا مقارنة زمنية بين عصر يوشع وبدايات الاحتكاك (الآشوري- اليهودي) لوجدنا فارقاً زمنياً شاسعاً يحول في إمكانية قبول الرواية أو تصديقها؛ كون ان تاريخ أحداث سفر يشوع الواردة تفاصيلها عند يوسيفوس لا تتجاوز بحدودها العليا عام

(1) josephus, Complete, Book5, P. 134-135.
(2) josephus, Complete, Book5, P. 139;

وعن تطابق مجريات يوسيفوس مع المصادر ينظر:

Smith, William, D.C.L, Dictionary of the Bible, London (1863), vol. II, P.P.651-652; Word sworth, Christopher, The Holy Bible in the Authorized version, London, (1864), vol.II, P.P.93-94.

(1200ق.م)[1]، وهي مدة لا نجد في الكتابات الآشورية ما يشير إلى اصطدام عسكري بين الاثنين، ففي أواخر عهد الملك الآشوري توكلتي–ننورتا الأول (1244–1208ق.م) توقفت النشاطات العسكرية نهائياً ما يقارب قرن كامل، مما أدى إلى انهاك الاقتصاد الاشوري، مولداً ضغوطات داخلية انتهت بحدوث ثورة داخلية قتل من خلالها توكلتي–ننورنا الأول على يد أحد ابنائه وهو (اشور – نادن– ابلي) مع بعض من القواد والأمراء واستمرت الحالة من الضعف السياسي (92 سنة)، وغابت السلطة المركزية، وحكم حوالي (9) ملوك ضعفاء[2]، وعليه باتت الدولة الآشورية في هذه المدة عاجزة عن إرسال حملات عسكرية لأي منطقة كانت ابان مرحلة تحركات يوشع في أرض كنعان، وليس كما ادعى يوسيفوس، فضلا" عن ذلك ان اسم جوشان لا نجد ما يوثقه في لائحة ملوك اشور بهذه الصيغة أو الشكل، فكان ذلك مدعاة في افتراضنا ضعف روايته وعدم واقعيتها، واغلب الظن وليس في كل الظن اثم ان يوسيفوس وقع بخطأ تاريخي بالإشارة إلى الملك جوشان بوصفه عاهلاً اشورياً، فربما هو (كوشان رعشتايم) ملك آرام النهرين، اول من جعله رب اسرائيل سوط عذاب على اليهود، فاستذلهم حتى ظهر (عثنيئيل بن قناز) لينقذهم من هذا الهوان وذلك بتصريح سفر القضاة[3].

2–**الحرب (المؤابية – اليهودية):**

بعد وفاة اوثنيال تدهورت شؤون الاسرائيليين وأصبحوا في فوضى عارمة، وعزفوا عن احترام القوانين والنظام، مما جعل عجلون (ايكون) (Eglon) ملك المؤابين ينظر اليهم باحتقار؛ بسبب الفوضى التي طالت المؤسسة الحكومية السياسية التي شابتها الكثير من مكامن من الضعف والوهن، وامام هذا النكوص وجد ملك مؤاب الفرصة مواتية ليشن حرباً طاحنة معلناً انتصاره عليهم، واخضاعهم بحد السيف، واجبارهم على دفع الجزية، فكانت المعركة على حد قول يوسيفوس: " **سبباً في افقارهم لمدة ثمانية عشر عاماً**"[4]، ومن نتائجها التي اغفلها مؤرخ اليهود احتلال مؤاب لاريحا بعد ان عقدوا حلفاً ضمهم إلى جانب كل من العماليق وبني عمون، اذ نقرأ في التوراة ما نصه: "**فعاد بنو اسرائيل يقترفون الشر في عين الرب مسلط الرب عليهم عجلون ملك مؤاب عقاباً على شرهم، فألب عليهم بني عمون وعماليق، وهاجمهم واحتل اريحا مدينة النخل**"[5].

اختزلت رواية يوسيفوس المبررات والعوامل الجاذبة في احكام قبضة اليهود على المناطق المسيطر عليها من قبل المؤابين، دون الخوض في تفاصيل جانبية والتعمق في اسبابه ومجرياته، اقتفاء اثر الاساليب الروائية المختصرة المبطنة والمحاطة بغطاء العامل الالهي كأساس في تحقيق الانتصارات أو النكبات، فبعد رحلة شاقة من الخضوع والاذلال المؤابي لليهود تضرعوا إلى الرب ليخلصهم من هذه المعاناة ويستجيب لدعائهم وينقذهم على يد أحد ابناء قبيلة (بنجامين) الاسرائيلية واسمه (ايهود) (Ehud)[6]، بتاريخ رجحه الباحث لانكستر هاردنج حوالي سنة 1150 ق.م بعد مذبحة عظيمة جداً[7].

3–**الحرب (الكنعانية– اليهودية):**

لم يتعض الإسرائيليون بالمصائب التي حدثت لهم، وتركوا عابدة الرب، فبعد ان تخلصوا من المؤابين وقعوا في العبودية على يد الكنعانيين في زمن ملك دعاه يوسيفوس بـ: (جابن) (jabin) وأمرهم بدفع الجزية، وبقوا على هذه الحالة لمدة (20) سنة، الا ان الرب خلصهم مرة اخرى على يد (باراك) (Barak) من قبيلة نافتالي بعد ان قتل الكنعانيين جابن وبقى يحكم الاسرائيليين لمدة (40) عاماً[8].

---

(1) السواح، آرام دمشق، ص93.
(2) باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1، ص538.
(3) سفر القضاة، 3: 7- 11.
(4) josephus, Complete, Book5, P. 139; H. Feldman, Louis, Judaism and Hellenism Reconsidered, Berll (2006), P. 593 ; m. Green, Jeffrey, Thinking Through Translation, university of Georgia (2010), P. 150.
(5) سفر القضاة، 3: 12- 13.
(6) josephus, Complete, Book5, P. 139;
(7) لانكستر، هاردنج، اثار الاردن، ص31.
(8) josephus, Complete, Book5, P. 140 ;
وعن تطابق القصة عند يوسيفوس مع المراجع الاخرى ينظر:
Lias, john james, The book of judges, At the university Press (1896), PP. 70- 71 ; lemch, Niels Peter, Early Israel, leiden (1985), P. 415.

4-الحرب (المديانية- اليهودية):

بعد وفاة باراك قام المديانيون بدعوة الامالكتيين (العماليق) والعرب (Arabians) لمساعدتهم لشن حرب على الاسرائيليين، وبالفعل انتصروا على اليهود، واضطروهم للهروب إلى الجبال وبقوا على هذه الحال لمدة قدرها يوسيفوس بـ: (ثلاث سنوات)، بعدها تضرعوا إلى الرب ثانية فخلصهم من نير المديانيين على يد(كيديون) (Gideon) من قبيلة مانيسيا الاسرائيلية[1].

ويُلحظ في روايات يوسيفوس المتقدمة استنادها التام على نصوص سفر القضاة مفسراً رواياته بأسلوب لاهوتي في قراءة واستيعاب النص واخراجه بما يتفق مع توجهاته الفلسفية والتاريخية، فعلى الرغم من ان القصص الفردية حول الصراع الاسرائيلي ضد المؤابين أو المديانيين أو الكنعانيين تعرض اماكن واشخاصاً مختلفين، الا انها جميعاً تُستخدم لتصوير علاقة متبادلة مضطربة بين الله وشعبه، يصور يهوه كإله غاضب آسف، انقذ الاسرائيليين من العبودية في مصر، واعطائهم الارض الموعودة كميراث ابدي، ليجدهم اناساً آثمين وجاحدين، خانوا يهوه مراراً وتكراراً باتباعهم الهة اجنبية، فعاقبهم الرب بتسليمهم لأيدي اعدائهم؛ كي يشعروا بألم الضعف والمعاناة ويتضرعوا ليهوه ليساعدهم عندئذ يقبل توبتهم، وينقذهم بتكليفه لزعيم ديني مستقيم من بينهم بقيادتهم للانتصار على خصومهم[2].

وبانقضاء عهد كيديون (Gideon) يتوالى على حكم إسرائيل قادة ذكرهم يوسيفوس أمثال جوثان وجاير وشمشون، مطلقاً عليهم اصطلاح (عصر القضاة)[3]، الذي بدا بعد موت يوشع بن نون، وينتهي بقيام الملكية على يد شاؤول، واستغرقت هذه المرحلة من تاريخ بني إسرائيل ما بين أربعة قرون وقرن واحد من الزمان على اختلاف في الرأي[4]، ولم يكن القضاة المحاربين والمنقذين اقامهم الرب (ليلخصوهم من يد ناهبيهم)، ولم يكونوا خلفاء لبعضهم البعض، بل إننا لنشهد أكثر من واحد في وقت واحد، ولم يكن في إسرائيل ملوك في تلك الأيام حتى اذا كانوا من الكهنة، وكان الواحد من هؤلاء القضاء يطلق عليهم أحياناً لقب ملك أو قاضٍ[5].

وفي زمن هؤلاء القضاة أخبرنا يوسيفوس عن هجوم شنه الفلسطينيون[6] والعمونيون[7] على بني إسرائيل وأجبروهم على دفع الجزية، إلا أنه وبفضل هؤلاء القادة تم تخليصهم من سطوة الأخيرين[8]، وبعد وفاة شمشون حكم اليهود رئيس الكهنة (ايلي) وفي زمنه أصيبت البلاد بالمجاعة[9].

الاستنتاجات

افرز البحث جملة من الاستنتاجات يمكن ادراجها وفق النقاط الاتية:

1- اسس يوسيفوس مرتكزا" خلافيا" بين دعوات النبي موسى الدائمية الى عدم الاعتداء وتجنب الاحتراب والاقتتال وإراقة الدماء استناداً إلى الشريعة الموسومة القائلة: (ومن قتل إنساناً يقتل قتلاً) وبين مضامين رواياته الدالة على دعم النبي الكريم لقتال العماليق وضربهم من دون رحمة مما شكل بطرحه هذا ثنائية متقاطعة بين اخلاقيات الانبياء وارهاصات الامتداد اليهودي القسري في ارض كنعان.

(1) josephus, Complete, Book5, P. 140.

(2) فنكلشتاين، التوراة اليهودية، ص164.

(3) josephus, Complete, Book5, P.142.

(4) مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، ج3، ص15؛ ينظر ايضاً:
M.B. Bowton, The Early Period of the Judyesin Israel, Cambridge(1965), P.55.

(5) مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، ج3، ص17.

(6) الفلستينيون: من المجموعات الخمس لشعوب البحر الذين أتوا من منطقة بحر إيجة، سكنوا المناطق الساحلية من فلسطين، ومما يساعد في الدلالة على أن الفلسطينيين كانوا أوربيين الرسوم التي وجدت على البناء التذكاري الذي أقامه رعمسيس الثالث، كما يدل على قدومهم من جزر اليونان وخاصة كريت نموذج الخزف الذي أدخلوه. حتي، تاريخ سوريا، ج1، ص196-197.

(7) العمونيون: يرجع نسب العمونيون إلى لوط ابن أخي إبراهيم(عليه السلام)، سكنوا المنطقة الواقعة بين وادي الزرقاء شمالاً ووادي الموجب جنوباً، وعرفوا من قبل اليهود باسم (بني عمون)، كما ورد في سفر ارميا، 24: 21، " وأدون، ومؤاب، وبني عمون".

(8) josephus, Complete, Book5, P.148.

(9) josephus, Complete, Book5, P.148.

2- أشرت الدراسة بشكل جلي تلك المبالغات التي قدمها يوسيفوس في إشاراته للانتصارات اليهودية تجاه خصومهم، مستخدماً الأرقام التي غلب عليها كثرة الاصفار الدالة على البعد الاعلامي الذي سعى المؤرخ اليهودي في بثه بين صفحات كتاباته، لاضفاء عنصر التشويق والاثارة للمتلقي، كأطنابه بالحديث عن عدد الفلسطينيين الذين حصد رؤوسهم الملك شاؤول والبالغ حسب تقديره 60000.

قائمة المصادر:

1- باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج 2، دار الوراق، (بيروت -2011)م.
2- بولانتزاس، نيكولاس، نظرية الدولة، ترجمة ميشيل كيلو، التنوير(بيروت -2007).
3- النجار، حسين فوزي، ارض الميعاد، (القاهرة-1959م).
4- رشيد، فوزي، الشرائع العراقية القديمة، (بغداد-1973م).
5- سوسة، احمد، العرب واليهود في التاريخ، ط 2، العربي للطباعة (بيروت-1990)م.
6- سفر التكوين، 6:10
7- سفر القضاة.
8- سفر الخروج.
9- سفر التثنية.
10- سفر صموئيل الاول.
11- سفر يشوع.
12- سفر اللاويين.
13- سفر العدد.
14- السواح، فراس، ارام دمشق واسرائيل في التاريخ التوراتي، دار علاء الدين، (دمشق-1995)م.
15- عصفور، محمد ابو الامحاسن، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية، (بيروت-1981).
16- عمران، مريم، الفكر الديني عند السومر ينفي ضور المصادر المسمارية، (بغداد-2013).
17- غازي، خالد محمد، الاصابع الخفية، التوظيف الاعلامي السياسي لشخصية الجاسوس، (بيروت-2015م).
18- قاشا، سهيل، مقتبسات شريعة موسى من شريعة حمو رابي، مطبعة بيسان، (بيروت-2003)م.
19- فلكشتاين، اسرائيل، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، ترجمة سعد رستم، ط4، دار صفحات، (دمشق-2011م).
20- الماجدي، خزعل، المعتقدات الكنعانية، دار الشروق (عمان-1981)
21- محفوظ، محمد جمال الدين، المخل الى العقيدة الاستراتيجية العسكرية، (القاهرة-1976م).
22- مهران، محمد بيومي، تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، (الاسكندرية-2008)، ج10.
23- مهران، بنو اسرائيل، ج1، ج2
24- موسل، شمال الحجاز، ترجمة عبد المحسن الحسيني، مؤسسه الثقافة الجامعية (الاسكندرية-1952).
25- ليوتاكسيل، التوراة كتاب مقدس، ام جمع من الاساطير؟، ترجمة: حسان ميخائيل اسحق.
26- لانكستر، هاردنج، اثار الاردن، تعريب سليمان موسى منشورات اللجنة الاردنية للتعريب (عمان-1959).
27- Josephus, Complete, book 2.
28- josephus, Complete, Book5

29- Casey, Maurice, From Jewish prophet to Gentile God, copyright (1991),P.P.42-43; Subramanian, J, Samuel, The synoptic Gospels and the psalms As Prophecy, New York(2007),P.P.9-20; Mandel, David, who,s in the jewish Bible, London (2007.)
30- Seven, Volume, The Jewish Law Annual, Trustees of Boston University (1988.,)
31- M.B. Bowton, The Early Period of the Judyesin Israel, Cambridge(1965.,)
32- I.Foster, Henry,The Mouse In Biomedical Research, New York (1981), Vol 3.
33- Milman, Henry Hart, The history of the mews, New York(1855): B,Sinclair, Daniel, Jewish Biomedical Law, Oxford (2003),; Brugger, winfried, Religion in the puplic sphere: A Comparative Analysis of German, Israeli, American and International Law, New York(2007)
34- Nelson, Thomas, Know the word study Bible New York (1995), Macarthur, Hohn, The macar Thur Bible commentary, New York (2005; Curtis, Adrian, Oxford Bible Atlas, Oxford (2007.
35- Bush, George, Notes, Critical and Practical on the Book of Joshua New York(1862.)
36- Bayme, Steven, Jewish Arguments and counterargaments, New York(2002); Schiffman, Lawrence, B.wolowelsky, joel, war and peacein The Jewish Tradition, New York (2007.
37- Hodgson, F.R, Kitabu cha,nn cha Musa: Hesabu, Universities mission,)1887),; Goble, Phillip, New creation bible for muslims, New York(2017.
38- Judith marquet Krauss, Les Fouilles de Ay, (et tell), (1933-1935), vol.2, 1910.
39- M.B. Bowton, The Early Period of the Judyesin Israel, Cambridge(1965)
40- Lias, john james, The book of judges, At the university Press (1896),-; lemch, Niels Peter, Early Israel, leiden (1985)
41- Callaway, Joseph, The Settlmention Canaan (in: Hershel shanks, edt, Ancient Israel, New York (1967;)
42- Epstein,L, Judaism, penguin (1970). Smith, William, D.C.L, Dictionary of the Bible, London (1863), vol. II,; Word sworth, Christopher, The Holy Bible in the Authorized version, London, (1864), vol.II.
43- H. Feldman, Louis, Judaism and Hellenism Reconsidered, Berl m Green, Jeffrey, Thinking Through Translation, university of Georgia (2010.)